الموضوع التاسع عشر

حديث فضل الأذان للصلاة على النبى ﷺ

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ فإنه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة» .

[رواه مسلم]

ماذا عندك فى الصحيح أيها الإمام مسلم، وأيها الإمام أبو داود، وأيها الإمام الترمذى؟ ماذا عندكم.. أمتعونا؟ فقالوا: الإمام مسلم أتى بحديث والحديث نفسه أتى به أبو داود والحديث نفسه أتى به الإمام الترمذى رحمهم الله تعالى جميعًا، وقد جئنا بهذا الحديث عندما وقفنا عند قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥] .

أى وبالحق أنزلنا هذا القرآن على محمد ﷺ لأمْرِ العباد ونهيهم وثوابهم وعقابهم، وبالصدق والعدل والحفظ من التغيير والتبديل نزل. وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشرًا بالجنة لمن أطاع، ومخوفًا بالنار لمن عصى وكفر.

وما بالكم وما بالك أن نسير مرة ثانية جميلة ممتعة إلى سيدنا محمد ﷺ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول» [أخرجه مسلم فى صحيحه (١/ ٢٢٨) رقم (٣٨٤)]، هنا مسألة نبهتنا إليها يا رسول الله شَكر الله لك بأبي أنت وأمى يا رسول الله ﷺ، فمن الأمور التى تحتاج إلى أن نعيد التأمل فيها أن نجد الناس جالسين يشاهدون فى التلفاز أو يستمعون لشىء فى الإذاعة ويأتى أذان المغرب أو العشاء، سلمنا الله تعالى وإياكم من الغفلة، ونجد أحدهم يستمتع برؤية المباراة أو الفيلم أو المسرحية أو التمثيلية أو المسلسل ويأتى وقت الأذان ولا يتحمله، لا يتحمل دقيقتين يقول مع المؤذن مثلما يقول فيدير الشاشة، ويدير المؤشر أو الريموت كنترول إلى قناة أخرى كى يفوت الأذان، ولا يسمع صوت المؤذن ثم يعيد المؤشر أو الريموت كنترول إلى الشاشة التى كان يتابعها، ماذا علمتنا يا رسول الله صلى الله عليك وسلم؟

إن الأذان له احترام، وله وقار، لا يجوز لك أن تتكلم مع أحد فى أثناء الأذان، بعض الناس من السلف الصالح كان عندما يستمع إلى الأذان فإنه يقف منتبهًا لا يتكلم، لا يتحرك، هذه ساعة ينادى فيها الجبار؛ يذكركم بفريضة كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

أى إنا عرضنا الأمانة - التى ائتمن الله عليها المكلَّفين من امتثال الأوامر واجتناب النواهى- على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وخشين أن لا يقمن بأدائها، وحملها الإنسان والتزم بها على ضعفه، إنه كان شديد الظلم والجهل لنفسه.

من يتبع هذا الكلام فهذا دليل حب سيدنا النبى ﷺ، فالذى يحب سيدنا النبى ﷺ يطيع أوامره، لابد أن تترجم هذه المحبة بأن تتبعه وتطيعه فى قوله ﷺ لك: عندما تسمع المؤذن يا محمد يا أحمد يا سعاد يا إبراهيم يا كذا عليك أن

تقول مثلما يقول المؤذن، تتعلم كيف تردد مع المؤذن، وعندما يصل إلى حى على الصلاة حى على الفلاح فإنك تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وفى أثناء الأذان فإننى لا أفعل شيئًا كأننى فى صلاة فإن الأذان من شعائر الإسلام، فأقول مثلما يقول المؤذن؛ ولكن يأتى شخص ويقول لك "هل هى تحكمات؟" أى لابد فى ساعة الأذان ألا أعمل شيئًا ؟!

تجلس فى هدوء عليك سكينة، وعليك وقار، وتقفل المحمول، ولا ترد على التليفون الأرضى، وتجلس هادئ مع ربنا ﷻ وحبذا لو أنك فى بيتك، لك بكل حرف ألف حسنة ماذا تريد من الله تعالى أفضل من هذا ؟

عندما تسمع حى على الصلاة تقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فيها آلاف الحسنات، «لا إله إلا الله» آلاف الحسنات، فأنت هكذا مليادير فى الحسنات، فتصبح متاجرًا كبيرًا مع الله، هذا هو الجمال، هذه هى العظمة فيكون السمع والطاعة هنا لكلام سيدنا النبى ﷺ فتكون تجارة رابحة، ورابحة بحق ويقين .

«إذا سمعتم المؤذن فقولوا (فعل أمر) مثلما يقول ثم صلوا علىَّ» أى تصلى على سيدنا محمد (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام)، الحديث فى صحيح مسلم «ثم صلوا على فإنه من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً » .

فى حديث آخر أن جبريل عليه السلام نزل كى يبشر النبى ﷺ وبشره بهذه البشرى «أن الله تعالى يبشرك أنه من صلى عليك صلاة فإنى أصلى بها عليه عشرًا، قال ﷺ: فسجدت لله شكرًا .

نتعلم ما بقى فى حياتنا من هذا الكلام، من حال شخص ضاعت منه ورقة مهمة فى البيت وظل يبحث عنها ساعة وبعد الساعة وجدها "يقول لها: لقد أتعبتينى كثيرًا" لا يجوز هذا عندما تجدها تخر لله تعالى ساجدًا فهو الذى أوصلك إليها سبحانه كما فى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]، ووجدك لا تدرى ما الكتاب ولا الإيمان، فعلَّمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن

الأعمال؟ أى رب العالمين هداك إليها. إذا نجح ابنك فاسجد شكرًا لله تعالى، كى تعلم ابنك أن يسجد عند سماع خبر سعيد .

فسيدنا النبى (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام) عندما بلغ بهذه البشرى ماذا فعل؟ قال: فسجدت لله تعالى، الخبر أو هذه الجملة ليس فى رواية مسلم، وإنما فى غيره قال: فسجدت لله تعالى شكرًا .

إذن نتعلم من ذلك أن هناك نوعًا من أنواع الشكر يسمى بسجود الشكر، وسيأتى الكلام عنه بالتفصيل، ولكن كلما بُشِّر الإنسان ببشرىٰ، واستبشر بها فعليه أن يسجد، أن يخر لله تعالى ساجدًا؛ وهذا بخلاف سجود التلاوة، يجوز لك أن تسجد سجود الشكر وأنت غير متوضئ كما هو الحال فى سجود التلاوة؛ لأنه سيأتى لك الخبر وأنت لست مستعدًا لاستقباله، فأنت ينبغى أن تكون متوضئًا، ينبغى أن تكون متوضئًا أربعًا وعشرين ساعةً لقوله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه): «ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» فمن علامات المؤمن ليس فقط أنه يتوضأ ساعة الصلاة، إنما لابد وأن يكون متوضئًا على مدى أربع وعشرين ساعة، الناس الذين عندهم سلس بول، الذين عندهم ظروف هؤلاء أجرهم وعطاؤهم من الله وإلى الله ﷻ.

«فإنه من صلى علىَّ صلاة صلى الله بها عليه عشراً ثم سلوا لى الوسيلة»، أى الواحد بعد ما يؤذن الأذان يقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة» .

آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة فجمع له صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام بين الوسيلة؛ بين جواز التوسل به والفضيلة التى وعدته، وفى بعض الروايات «إنك لا تخلف الميعاد» وفى بعضها لم يأتِ .

وبعد هذا تقول: «رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً» .

هذا معنى أن الإنسان عندما يسمع الأذان يقول مثلما يقول المؤذن ويتبع هذا بالدعاء الشريف «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه اللهم مقامًا محمودًا، إنك لاتخلف الميعاد »، ويتبع هذا «رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً ».

«والوسيلة منزلة من الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله أى الشفاعة يوم القيامة، وأرجو أن أكون أنا هو»، هو بضم الهاء، فمن سأل الله لى الوسيلة أى قال آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، من قال هذا حلت له شفاعتى أى من قال هذه الصيغة حلت له شفاعة النبى (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام) .

الحديث فى فضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، والحديث - أيضًا - فى فضل الأذان، والحديث - أيضًا - فى فضل إجابة المؤذن، والحديث - أيضًا - فى إثبات الوسيلة لسيدنا محمد ﷺ وجواز التوسل به.

ويستدل منه على منزلته ﷺ الرفيعة عند الله تعالى، وأنه صاحب الشفاعة العظمى (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام)؛ لأجل هذا فإن أعظم الوسيلة هى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقم - أيها النبى- من نومك بعض الليل، فاقرأ القرآن فى صلاة الليل؛ لتكون صلاة الليل زيادة لك فى علو القدر، ورفع الدرجات، عسى أن يبعثك الله شافعًا للناس يوم القيامة؛ ليرحمهم الله مما يكونون فيه، وتقوم مقامًا يحمدك فيه الأولون والآخرون.

اللهم أنت الأول لا شيء قبلك، وأنت الآخر لا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك، وأعوذ بك من العجز والكسل، ومن عذاب النار، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الفتن، ومن فتنة الفقر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم. اللهم نق قلبى من الخطايا كما نقّيت الثوب الأبيض من الدنس. اللهم باعد بينى وبين خطيئتى كما باعدت بين المشرق والمغرب. اللهم إنى أسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبتنى، وثقل موازينى، وحقق إيمانى، وارفع درجتى، وتقبل صلاتى، واغفر خطيئتى، وأسألك الدرجات العلى من الجنة.

آميـــن